يومياً في رمضان
بعد صلاة العصر
النهج الواضح
تفسير سورة
البقرة
كاملة إن شاء الله
لفضيلة الشيخ
أبي محمد خالد بن عبد الرحمن
حفظه الله
في مسجد شيخان الفارسي
الكويت - منطقة العديلية قطعة 1
ابتداءا من 1/ رمضان / 1435هـ
الساعة 4:00 بتوقيت مكة (تقريبا)
ملاحظات :
1- الدرس منقول عبر إذاعة النهج الواضح
Www.annahj.com
2- تقام الصلاة بعد 20 دقيقة من الأذان .
3- للإستفسار : 99480868

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد نستأنف الدرس في تفسير سورة البقرة في اليوم الرابع من رمضان للسنة الخامسة والثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة.

وصلنا عند قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾) [سورة البقرة: 21-29]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد، جزى الله الشيخ خيرًا على قراءته ونفع الله به.

وقد وصلنا في هذه السورة المباركة إلى قوله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون) [سورة البقرة:21] هذا هو المقصود من تنزيل الكتب وإرسال الرسل، ألا وهو عبادة الله –عز وجل–، كما قال الله تعالى مبينًا ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، فكان واجبًا أن يعلم المكلف ما هي العبادة التي أُمِرَ بها؟

فالعبادة كما عرّفها جماعة من أهل العلم هي الأعمال الظاهرة والأقوال الظاهرة والباطنة التي أمر الله –عزّ وجل– بها، فالعبادة اسمٌ جامع للأعمال الظاهرة والباطنة وكذا الأقوال التي أمر الله –عزّ وجل– بها، فهذه هي العبادة، ولذا إذا صرف المسلم شيئًا من العبادة لغير الله –عزّ وجل– كان مرتدًا كافرا بعد بيان الحجة له، ولذلك كثيرٌ من الناس يقرؤون القرآن ولكن لا يتدبرونه، وقد وقع الشرك في كثيرٍ من بلاد المسلمين بسبب جهل المسلمين بمعنى العبادة، ومن هذا ما نرى في كثيرٍ من البلاد من عبادة القبور ومن سؤال أصحابها، ومن الاستغاثة بالأموات، ومن الذبح والتقرّب للموتى بحجة أنهم من أولياء الله، وأنه يُبتغى من القصد إليهم الخير، فكل هذا من الكفر والشرك بالله ومما حذّر منه النبي –عليه الصلاة والسلام– بل إن الشرك يقع في لفظ لا يَتفطَّن له الإنسان، وقد أخرج الإمام أحمد في المسند أن رجلًا أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ : ((يا رسول الله مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، فَقَالَ ويحك، أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلا ؟ بل قُلْ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ)) .

فهذا شركٌ لفظي، شركٌ في الأقوال، فالشرك يكون في الأقوال ويكون في الأفعال، ويكون في عمل القلب واعتقاداته، ولذا شدد النبي –عليه الصلاة والسلام– في هذا الباب، ومن هذا ما جاء عنه –عليه الصلاة والسلام– لما قامت المرأة تُغني في عرسٍ وكانت جارية حديثة السن فقالت: "وفينا رسول الله يعلمُ ما في غدٍ"، فأنكر عليها –عليه الصلاة والسلام– وقال: "دعي هذا وقولي بما كنتِ تقولين" أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– ولذا فمن الواجب أن يعرف المسلم ما هي العبادة حتى لا يقع في الشرك أو الكفر وهو جاهل يحسب أنه على خير وقد واقع الكفر والشرك بالله، وهذا بابٌ عظيم ما يتعلق بأمر العبادة وما يُناقضها وإنما أشرت إلى هذا إشارة.

يقول الله –جلّ وعلا–: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) [البقرة: ٢١]

وقوله: (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) فربكم هنا مفعولٌ به للفعل الذي تقدم وهو اعبدوا، والفاعل وهو الواو، اعبدوا ربكم ، والذي: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب نعت وصفة لربكم، والمعنى من هذا: أن الله –جلّ وعلا– قرن بين الأمر بعبادته، وبين سبب استحقاقه لذلك، أي فهو الخالق المستحق أن يُعبد دون سواه، فلأنه تفرّد بالخلق وتفرّد بالنعمة على العبد وأنه الخالق المنشئ للخلق من العدم فاستحق بذلك –سبحانه وتعالى– أن يُفرد بالعبادة، ولذلك جاء في حديث الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سُئل: ((أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ))

فقرن –عليه الصلاة والسلام– بين إفراد الله بالعبودية والتوحيد وبين سبب استحقاقه لذلك، فقال: ((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)) أي كيف وهو خلقك وتفرّد بالخلق

والإحسان والفضل كيف يُناسب ذلك أن تعبد غيره والعِّبادَة هي متَضمِّنةٌ لشُّكر للمعبود، ولِذا فمَعنى قولِنا لاإله إلا الله كما يَقولُ أهلُ العِّلم أي لامعبودَ بحقٍّ إلا الله، فقولُه تعالى (الذَّي خلَقكُم) هي جُملَةٌ كالتَّعليلِ والتَّفسير لاسْتِحقاقِ الرَّب –جلَّ وعلا– للعِّبادة قال: (والذَّين من قَبْلِكُم لعَلَّكُم تتَّقون) [البقرة:21]، جاءَ عن جَماعة من السَّلف وثبَت عن مُجاهِد في تَفسير قولِه تبارَك وتعالى (لعلَّكُم تَتَّقون) أي لعلَّكُم تُصلِحون وتَنْصلِحون وتَعبُدون ربَّكُم –سبحانهُ وتعالى– بما أرشَدهُ إليكُم وهداكُم إليْه من توحيدِه –سبحانهُ وتعالى– ثمَّ عدَّد الله –جلَّ وعلا– فضائِل وعدَّد نعْماءَهُ على عِبادِه التَّي تسْتلزِمُ إفرادَه بالعِّبادة وتسْتلزِمُ شُكرَهُ –سبحانهُ وتعالى– دونَ أن يُصرفَ شيءٌ من تلْك العِّبادة قلَّ أو كثُر لِغيرِه، فقال تعالى: (الذَّي جعَل لكُم الأرْضَ فِراشًا والسَّماءَ بناءً) [البقرة 22] ولِذلك وصَف السَّماء بِقولِه [وجَعَلْنا السَّماءَ سقْفًا مَحْفوظًا) [الأنبياء:32] فالسَّماءُ بناها الله – جلَّ وعلا – بناءً محْكَما (ولَقدْ زيَّنا السَّماء الدُّنْيا بمَصابيحْ وجَعَلناها رُجومًا للشَّياطين) [الملك:5] وبيَّن الله – عزَّ وجل –[والسَّماءَ بَنيْناها بِأيْيدٍ وَإنَّا لموسِعون) [الذاريات:47] فالحاصِل أن الله – جلَّ وعلا – من أفعالِه أنَّه تبارَك وتعالى فرشَ الأرض فقالَ في آيَةٍ أخرى (والأرضَ فَرشْناها فنِعمَ الماهِدون) [الذريات–48] كلُّ هذه من أفعالِ الرَّب – جلَّ وعلا – من فرشِ الأرض ومن بِناءْ السَّماء ومن إنزال الماءِ من السَّماء فقال تعالى (وأنزلَ منَّ السَّماءِ ماءً) [البقرة:22] ومما يَنْبَغي أن يُعلَم في أبْواب التَّوحيد أنَّ الله – جلَّ وعلا – له أسماء وصِفات وأفعال، وأنَّ أفعالِ الرَّب – جلَّ وعلا – تَنْقسِمُ إلى قِسمين: أفعالٌ هي صِفاتٌ لهُ كستوائِه –سبحانه وتعالى – ورضاه ومحبَّته وسُخطِه فهذِه أفعال قائِمةٌ بِذات

الرَّب – جلَّ وعلا– متَّصِفٌ بها على الوَّجه الذَّي يَليقُ بِه (ليسَ كمِثلِه شيء وهو السَّميعُ البَّصير) [الشورى –11]

وأفعالٌ متعدِّية بِأثرِها إلى المخلوق فيُرى مفعول الله الناتجُ عن فعله؛ كخلقه السماء وبسطه الأرض ورفعه للسماء وخلقه لآدم حتى أنه –تبارك وتعالى– لم يخلق آدم بكلمة كُن فحسب وإنما باشر خلقه بيديه الكريمتين، ولذا أنكر على إبليس قائلاً سبحناه: (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) [ص: ٧٥] فأفعالُ الرَّبَ منها ما هو قائمٌ بذاته؛ كرضاه وسخطه ومحبته وبُغضه, وأفعالٌ يُرى مفعولُها الذي نتج عن فعل الرَّب –جلَّ وعلا– كخلق السماء والأرض وخلق بني آدم وكيف أنَّ الله –تبارك وتعالى– باشر خلق آدم بيديه الكريمتين.

فأسماء الله وصفاته وأفعاله كُلُّها عند أهل السنة على قاعدة التوحيد التي علمنا الله إياها: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١], فأسماء الله تليق به وصفات الرَّب تليق به وأفعال الرَّب تليق به: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ), لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته –سبحانه وتعالى– نؤمن بما أخبرنا الله –عزَّ وجل– من كُلِّ ما وصف الله به نفسه من أفعالٍ ومن أقوالٍ ومن صفاتٍ ومن أسماء على الوجه الذي يليقُ به –سبحانه وتعالى– كما قال تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]

قال الله –جلَّ وعلا– : (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) [البقرة: 22]

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس–رضي الله عنه – قال: ((كُنَّا مع النبيَّ – صلى الله عليه وسلم– في سفرٍ فأمطرت السماء، فحسر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الثوب حتى أصابه شيءٌ من المطر، فقيل: يا رسول الله لما صنعت ذلك؟ فقال: إنه حديثُ عهدٍ بربه)) رواه مسلم من حديث أنس.

وهذه سُنَّة غابت عن كثيرٍ من النَّاس، أنه عند نزول المطر تجد أنَّ النَّاس يتسترون بالجُدُر حتى لا يُصيبهم شيءٌ من المطر، وهذا لا بأس به ولكن بعد أن تُقيم السُّنَّة، بأن تحسر، تكشف عن شيءٍ من بدنك وتُعرضه للمطر ولو قليلاً، لماذا ؟ قال لما فعل ذلك النبيُّ – عليه الصلاة والسلام– لما صنعت ذلك قال : ((إنه حديثُ عهدٍ بربه)) أي أنَّ الله–جلَّ وعلا– أمر هذا الماء بأن ينزل وأن يُخلق وأن يوجد، فهو حديثُ عهدٍ بأمر الله –جلَّ وعلا– حيثُ أمره الله –جلَّ وعلا– فقال: ((إنه حديثُ عهدٍ بربه)) فهذه سُنَّة ينبغي أن يُنتبه لها وان تُحيا بأن تُعرِّض بدنك شيئاً منه للمطر، ثم بعد ذلك إن أحببت أن تستتر فاستتر، قال الله –جلَّ وعلا–: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ [البقرة: 22] هذا باب من أبواب الاعتقاد، فإنَّ جماعةً من أهل البدع قالوا: إن السبب لا تأثير لهُ في الحقيقة، وإنما سببُ كل شيء هو إذا وُجِد السبب، خلق اللهُ عندئذٍ ما ينتج عنه، وقالت هذه الطائفة أنَّ السبب نفسُهُ ليس لهُ تأثير، وقد ردَّ أهلُ السُّنة كشيخِ الإسلام ابن تيمية، رد على هؤلاء المبتدعة قولهم، فكان مما استدلَّ به شيخ الإسلام ابنُ تيمية وغيرُهُ من علماء السُّنة، أن استدلوا بهذه الآية ومثيلاتِها، فإن الله يقول: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ [البقرة:22]، ولو أنَّهُ قال: فأخرج من الثّمرات، ولم يذكُر الجار والمجرور، وهو (بِهِ)، لاستقام المعنى، ولكنَّهُ لم يؤدي للزيادة التي تحصَّل عليها أهلُ السُّنة من زيادة لفظ (بِهِ)،

ففائدة الجار والمجرور في قولهِ – سبحانَهُ وتعالى- (فَأَخْرَجَ بِهِ) ، أن الله – جلَّ وعلا- خلَقَ السبب، وجعل فيه التأثير، فإنَّهُ علَّق – سبحَانَهُ وتعالى- إخراجُ الثَّمرات (بِهِ)، أي بالماء، فجعل الماء مؤثِّرًا وناتجًا عنه حصول الثَّمرات،فيُتَفطَّن لهذا، ومن هنا تنتبِه لِعِظمِ كلام الرَّب-جلَّ وعلا- فيما يذكُرُ في كلامه –سبحانَهُ وتَعَالى-، الحاصل، أنَّ قولَهُ: (فَأَخْرَجَ بِهِ) ، فيهِ ردٌ على جماعات من أهل البدع، الذين يُنكرون أن يكون السَّببُ مُؤثِّرًا، وإنما قالوا: يخلُقُ اللهُ عندهُ، عند وجود السَّبب، لا أنَّهُ يوجد به، فردوا صريح القرآن، وحكَّموا عقولَهُم فوقعوا في الضَّلال، قال اللهُ –جلَّ وعلا-: (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) [البقرة:22]، وأصلُ النِّد هو المثيل، والمكافئ والمساوي، (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا)، وقد أخرجَ ابن أبي حاتِم بإسنادٍ حسن، وحسَّنهُ الشيخُ مُقبِل وغيْرُهُ من أهلِ العلم، عن ابنِ عباسٍ –رضي الله عنهما- في تأويل قوله –تبارك وتعالى- (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا)، قال ابنُ عباس في تأويل هذه الآية، قرأ فقال (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) قال ابنُ عباس: "هو قولك والله وحياتي يا فلانه وحياتك، وقول الرجل: لولا كلبُ فُلان لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار، لأتانا اللصوص. وقول الرجل: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: أنا باللهِ وبِك، قال: لا تجعل فيها فُلان، لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، هي به شرك"، إذن تنبَّه كيف يُبيِّنُ حبرُ هذه الأمَّة –رضي اللهُ عنهُ-، وهو عبدُ الله بنُ عبَّاس، كيف يكون الشِّرك، الشِّركُ في الاعتقاد، الشِّركُ في الأقوال، (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:22]، أن تحلِف بغيرِ الله، "وحياتِك يا فُلانه"، "وحياتِكَ يا فُلان" ,أن تعطِف الحلف بالله، وتعطِف عليه غيرُهُ، تقول: واللهِ وفُلان، وحياة أبي، والكعبة، كُلُّ هذا شِركٌ وهو شِركُ الألفاظ، كذلك شِركُ الاعتقاد مع اللَّفظ، تقول كما قال ابنُ عبَّاس: لولا كلبُهُ

لأتانا اللُّصوص، أي الذي أنقذنا ليس اللهُ، وإنَّما الذي أنقذنا كلبُهُ، هذا مُقتضى اللَّفظ، قال هذا من الشِّرك.

ولولا البط لأتانا اللصوص، البط معروف، والبط له طبع إذا رأى غريبًا صاح بصوت يفزع الناس، فكان العرب يستدلون بالصياح البط ونباح الكلاب على وجود غريب فينتبهون؛ يقول بن عباس: قول الرجل لولا كلب فلان أن نبح لأتانا اللصوص، لولا البط أن صاح لأتانا اللصوص كل هذا شرك بالله لأنك علقت الأمر بغير الله –تبارك وتعالى– وجعلت الأمر معلقًا بمخلوق ولم تجعله معلقا بالله –جلا وتعالى–، كذلك شرك الألفاظ في العطف، ما شاء الله وشئت، هذا شرك بالله، ساويت بين مشيئة الرب ومشيئة العبد، وهذا شرك من الشرك اللفظي أو تقول لولا الله وفلان؛ قال ابن عباس: لا تجعل فيه فلان، لا تجعل فيه فلان هي به شرك، إذًا من هنا لا يكفي حسن المقاصد، لابد أن تضبط المقاصد حسب ما دل عليه الشرع، قد تقول أنت: وأبي، والكعبة، ولولا الله وفلان، وأنا بالله وبك، ولا تقصد الشرك؟ ولكن اللفظ نفسه شرك بالله وكفر به، سواء قصدت أو لم تقصد، لذلك لما قام الرجل معظمًا لجناب النبي –صلى الله عليه وسلم– ((فقال يا رسول الله ما شاء الله وشئت)) كما رواه الامام أحمد في المسند ((فقال: ويحك)) أو ((ويلك أجعلتني لله عدلا)) ونحن نعلم يقينًا أن الصحابي لا يقصد أن يجعله عدلا لله، لذلك عندنا في مصر كثير من إخواننا في مصر يجري على ألسنتهم الحلف بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وربما هذا عندنا في مصر أكثر من غيره في البلدان، وإنما هؤلاء يقولون نفعل ذلك حبا له وتعظيمًا لجنابه وقد يكونوا على صدق في هذا لا يساء بهم الظن لكن هذا شرك بالله وهذا لايجوز، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: ((من حلف بغير الله فقد كفر)) في بعض البلدان ورأس

أبي ونحو ذلك مما جرت به عادت الناس وكل هذا شرك وكفر بالله وهو من الشرك الأصغر الذي لا يجوز ويجب اجتنابه. قال الله –جل وعلا– : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 22] هذه الواو ماذا تسمى عند علماء اللغة؟ هذه يسمونها واو، واو الحال فالمعنى من جهة الإعراب أنتم تعلمون فالمعنى من جهة الإعراب (أَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنتم : مبتدأ في محل رفع مبتدأ، وتعلمون: فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون لأنه من الأفعال أو من الأمثال الخمسة، والواو في تعلمون: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية: (تَعْلَمُونَ) في محل رفع خبر للمبتدأ (أَنتُمْ)، (أَنتُمْ تَعْلَمُونَ)، والمبتدأ والخبر الداخل عليهما واو الحال: في محل نصب على الحال لهؤلاء الموصوفين، (فَلَا تَجْعَلُوا) الواو في قوله: (فَلَا تَجْعَلُوا)، فقوله: (وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) في محل نصب على الحال من الضمير الذي تقدم قبل، أي لا تجعلوا لله أندادًا حال كونكم عالمين أنه ليس لله نِد، هم يعلمون ذلك، ولذلك بَيَّنَ الله (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) [العنكبوت:61] (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) [العنكبوت: 63] (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ) [الزخرف:87] كل ذلك هم يعلمونه لذلك قال مبينًا أنهم يعلمون أن الله ليس له ند، ليس له ند يساويه، قال (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) [الزمر: 3]، هم يعلمون أن أصنامهم لا تقدر على ما يقدر عليه رب العالمين، ولكن دخلت عليهم شبهة الشفعاء، قال الله –جلا وعلا–: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 22]

ثم قال ربنا تبارك وتعالى..

– تفضل

– جازاك الله خيرًا شيخنا

– وإياك

– نأسف على المقاطعة بدأت في هذه المقاطعة أعكر صفوا بعض المستمعين وأغربلهم ... نرجع لبعض الآيات التي سبقت بالأمس، قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) [البقرة : 8] إلى آخر الآيات هل يمكن أن يستدل بمثل هذه الآيات على وجود منافقين في الصحابة؟

– أولاً : الصحابة – رضي الله عنهم – شهد ربنا بفضلهم جميعهم فقال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ) [الحديد : 10]، فهذه الآية من أصرح الآيات وأدلها على أن الصحابة – رضي الله عنهم –كلهم عدول، وكلهم مؤمنون أتقياء بررة.

وأما المنافقون الذين كانوا يخالطون الصحابة ويعايشونهم؛ فإنهم من المعلوم أن الله –عز وجل– بينهم وفضحهم فقال تعالى مبينًا أنهم لا يخفون قال: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [محمد : 30]، فالله –جل وعلا– أعلم نبيه بالمنافقين حتى يتميز أصحابه عن هؤلاء المنافقين، وحتى لا يختلط الأمر، فقال تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [محمد : 30]، فكشفهم الله – عز وجل – لنبيه وصاروا معلومين معروفين، ولذلك من قال –عياذًا بالله– أن المنافق قد يكون من الصحابة فهذا قوله طعن في كتاب الله، وطعن في سنة النبي –

صلى الله عليه وسلم – وإلا لتصور القائل أن يتصور أي صحابي قد يُتصور فيه –والعياذ بالله– هذا.

– نعم

– قوله –تبارك وتعالى– (مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) [البقرة:17]، وفي المثل الآخر (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ) [البقرة:19] فالمغايرة بين المثلين ما هي فائدته؟

– المغايرة بين المثلين في اختلاف ما يتعلق في المثال الأول من وصفهم مع المثال الآخر، أي أن كل مثال وصف شيئًا من خصالهم؛ ففي المثال الأول من خصال هؤلاء، ومن وصفهم ما ليس في المثال الآخر، وفي المثال الآخر ما ليس في المثال الأول، إيضاحه: أنه في المثال الأول يقول: (مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾) [البقرة : 17– 18]، فإذا تأملت هذا المثال وجدت أن أصل المثال قائمٌ على ما يتعلق بوصفهم من حيثية أنه قد ينتفعون شيئًا بالإيمان الكاذب الذي هم عليه كما ينتفع المستوقد للنار بشيء من هذه النار حين تضاء، فهذا المثال منصب في جُله على وجه الانتفاع، كما أن المستوقد قد ينتفع بشيء من النار الموقدة، ثم بعد ذلك يؤول الانتفاع إلى ضياع، كذلك هؤلاء المنافقون انتفعوا بشيء ما من إظهار الإيمان الكاذب فَوُقِيَتْ أنفسهم من القتل، فإذا تأملت المثال الآخر وجدته ينحى إلى أمر آخر قال: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ) [البقرة : 19] فانصب المثال الآخر ليس على انتفاعهم بشيء وإنما انصب على وصفهم

في خوفهم ورعبهم ورهبتهم من نزول الآيات، وأن يفضحوا بنزول القرآن، إذًا ففي المثال الأول انصب على صفة غير الصفة التي جاء عليها في المثال الآخر، فَتَحَصَّلَ من المثالين ما يتركب منه كمال حال وصف المنافقين، هذا الذي يظهر والله أعلم بمراد كلامه.

- جازاك الله خيرًا، في الآية الأخيرة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : 22]، نجد ابن عباس –رضي الله عنهما– استدل بهذه الآية التي فيها ذم الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، فهل هذه قاعدة مطلقة ؟

نعم، الشرك كما لا يخفى عليكم إن شاء الله، منه ما هو أكبر، مخرج من الإسلام، ومنه ما هو أصغر، غير مخرج من الإسلام، وهذا معلوم ولله الحمد، ويسأل الشيخ حفظه الله يقول : أن ابن عباس استدل بالآية مع أنها في الشرك الأكبر، فاستدل بها ابن عباس على الشرك الأصغر، حتى أَدخل الحلف بغير الله أدخله في الآية، فهل هذا يَطَّرِد؟ فالجواب: أن الشرك حين ينهى عنه بلفظ عام، أو بلفظ مطلق فإنه يشمل الشرك كله، صغيره أو كبيره، ومنه مثلاً قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110]، فهذا يشمل كل ما يقع عليه مسماه، ولذلك النبي – صلى الله عليه وسلم– لما قام الرجل وقال: ما شاء الله وشئت، فهذا شرك أصغر، والنبي –صلى الله عليه وسلم – يعلم أن الرجل لم يعبده ولكن قال: ((أجعلتني لله عدلاً؟)) إذًا فمتى جاء النهي في كتاب الله –عز وجل– أو في سُنةِ رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بالنهي عن الشِرك دخلَ فيهِ صغيرهُ وكبيرهُ، وزيادةُ إيضاح أنَّ النبي– صلى الله عليهِ وسلم– قال ((إنَّ الشِركَ أَخْفَى في أُمَتي مِنْ دَبيبِ النَملِ عَلى الصَفا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيهِم، فَقَال –عَليهِ الصَلاة

والسَلام– أَلا أَدلُكم عَلى شَيءٍ، إذا قُلتُموه أَذهَبَ اللهُ عَنكُم صَغيرهُ وَكَبيره؟ قُولوا اللَهُمَ إنا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشرِكَ بِكَ شَيئًا نَعْلمُه وَنَستَغفِرُكَ لِما لانَعْلَمه))

فالشاهِد إنَّ النبي– عليهِ الصلاة والسلام– يقول ((إنَّ الشِركَ)) ثُمَّ بيَّنَ أنهُ– صلى الله عليه وسلم– بهذا أراد الكبيرَ والصغيرَ منه، والحاصِل إذا جاءَ النهي في كتاب الله أو في السُّنة عن الشركِ بالله فيدخُلُ في هذا كبيرهُ وصغيرهُ.

قال اللهُ – جلَّ وعلا–: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:22–23]، بعد أن أثبتَ وحدانيتهُ –تبارك وتعالى– واستحقاقهُ للعبادة، أثبتَ صدق نبيه، فالدينُ قائم على توحيد الله وعلى إتباع الرسول فيما أتى به من عند الله، فبعد أن قرر اللهُ–جلَّ وعلا– استحقاقهُ للعبادة، ثنَّى بعد ذلك بإثباتِ صِدق نَبيه، فقال: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ تقدم معنا في أول البقرة ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ (لا شكَّ) وتقدم أنَّ هذه المادة (أمرٌ مريب) (ورابني) (وأرتبتُ) (وارتابوا) كُلُ ذلك كما قالَ تعالى: ﴿أفي قلوبهم مرضٌ﴾ أن ارتابوا، كل ذلك داخل في معنى الشكّ والتحيّر، ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي إن حصلَ أدنى ريب، وإن حصلَ أقلُ شكٍّ في صدقِ مُحمد– عليهِ الصلاة والسلام– قال ﴿مماانزلنا﴾ تأمل لما جاءَ في معرض إثبات صدق نبيهِ أتى بلفظ دال على التأكيد والثبوت والمبالغة (فأنزل) في دِلالتها في اللغة ليست ك(نزَّل) (نزّلَ) أي نزل شيئًا إثر شيء فهي دالةٌ على التأكيدِ والمبالَغة ففي (نَزَّلَ) من تأكيد لفعل النزول ماهو أبلغُ من قولهِ أنزلَ، فلما كانَ في معرِض التأكيد والتثبيت على صدق نبيه أتى بالفعل الذي يدلُ على الثبوتِ والمبالغة وعلى أنَّ اللهَ –جلَّ وعلا– يؤكدُ أنهُ أنزلَ كتابهُ شيئًا فشيئا، قال: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ (وسورة) هنا نَكرة، والنكرةُ في سياقِ الإثبات تدلُ على

الإطلاق، يعني أأتوا بأيِّ سورة طويلةً كانت أو متوسِطة أو من صغارها وكلُ كتابِ اللهِ عظيم، قال تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) ومن هنا زِيدَت للتأكيد والتثبيت وإلا لو قال: فأتوا بسورةٍ مثله لصحَّ المعنى وإنما زيدَّت تثبيتًا وتأكيدًا.

(بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ) [البقرة: 23] استعينوا بمن تشائون حتى تأتوا بسورة من كتاب الله –جل وعلا– فيقتل بهذا صدقه لأنكم أتيتم بمثل ما أتى فلم يبقى عنده معجزة تدل على الصدق وهذا يدل على أن الأنبياء إنما أتو بمعجزة تدل على صدقهم ولذالك جاء في صحيح البخاري أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((ما من الأنبياء نبي إلا وأوتي على ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)) رواه البخاري. إذًا ما من الأنبياء نبي إلا وأن يأتي بمعجزة تدل على صدقه وما هي أعظم معجزة وأعظم آية اتى بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو القرآن (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:9] وإعجاز القران من وجوه كثيرة، إعجازه أنه كلام الرب –جل وعلا– و هو صفة لرب –جل وعلا– إعجازه فيما جاء فيه من الأخبار الغيبية التى لا سبيل لنبي –صلى الله عليه وسلم– أن يدركها دون أن يعلمه الله إياها، إعجازه من جهة أحكامه، إعجازه من جهة لفظ القرآن، ونظمه، وما يتعلق به من سياق، وما يتعلق به من ألفاظ محكمة بلغت في البلا غ أعلى مراتبها وهذا عرفه العرب، فلذلك لم يستطيعوا أن يبدو وأن يعيدوا شيئا. قال الله –جل وعلا–: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا) [البقرة: 24] وهذا خبر صادق جازم أخبر الله عز وجل به وأخبر نبيه –صلى الله عليه وسلم– مخبرًا عن ربه لأنهم سيعجزون وهذا أبلغ ما يكون من الإعجاز والتحدي فهو في الأول تحدى هؤلاء أن يأتوا ثم أخبر أنهم لن يستطيعوا

أن يفعلوا فاجتمع وجهان من الإعجاز، المطالبة والإخبار؛ المطالبة فأتوا، والإخبار لن تفعلوا فكان كما أخبر، فكان كما أخبر، ولو أفترض، افتراضا وهميًا خياليًا أنهم أتوا بمثل أقصر سورة في القرآن، إذا تصورنا أتوا بصورة وركبوا كلاما مثل (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [النصر:1] وقالو نحن العرب متفقون أن هذا كهذا حينئذ بطلت الدعوة، وبطلت الرسالة، ولذلك لما عرف العرب ذالك تجنبوا المطالبة، وذهبوا الى المقاتلة والمحاربة، قاتلوه، حاربوه، رفعوا السيوف، فنية أموالهم، فنية أنفسهم، ولجئوا إلى كل ذالك وتركوا المطالبة التي عرفوا عجز أنفسهم عنها، فكان هذا من أبلغ البراهين وأبينها بأن هذا الكلام هو كلام الله – جل وعلا– منزل على نبيه – عليه الصلاة والسلام – قال الله –جل وتعالى– : (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة:23]، إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله، وهنا إن شرطية، وكان واسمها وخبرها، ثم هي كان واسمها وخبرها، في محل جزم بالشرط، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، والمعنى إن كنتم صادقين، فأتوا بسورة من مثله، قال الله –جل وعلا–: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)، بعد أن أثبت الحجة والبرهان، وظهر عنادهم، جاء إلى تخويفهم وترهيبهم، فإنه جمع لهم الأمرين، جمع لهم الحجة والبيان إن أرادوا الحق، فإن عاندوا وكابروا، جمع لهم العقاب والعذاب، فقال: (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)، الناس أي هؤلاء الكفار، ولما عمّ الناس، وكان قد يدخل في معناها المؤمن والكافر، قال: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)، فالنار معدّة أصلًا للكافرين، ومن دخلها من المسلمين بذنبه، فهو يخرج منها، ولا يخلد فيها إلا الكفار، وقوله تعالى: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)، فيها أمر عظيم من مسائل الاعتقاد، فقد ذهب جماعة من أهل البدع،

إلى أن النار لم تُخلق بعد، وأنها ستُخلق يوم القيامة، فكذّبوا خبر الله بسبب جهلهم، فإن الله يقول: (أُعِدَّتْ)، وأعدت فعل ماضٍ، مبني لما لم يسمى فاعل، وهو الذي يعبرون عنه، بعضهم مبنيٌ للمجهول، (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)، أي أن النار موجودة، ولذلك جاء في هذا الباب الأحاديث المتواترة، في الصحيحين البخاري ومسلم، ودواوين أهل السنة، كمسند الأمام أحمد، والسنن كالترمذي وغيره، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– في أكثر من حديث يقول: ((أُريتُ الجنة والنار))، ويقول: ((أطلعت على الجنة، فرأيت أكثر أهلها كذا، وأطلعت على النار، فرأيت أكثر أهلها كذا))، وفي حديث الإسراء في الصحيحين، لما أُسريَ به، رأى الجنة ورأى النار، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: ((رأيت فلانًا في النار، يَجُرُّ قُصبه)) كما هو عند البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الكسوف، عند البخاري، وعرضت له الجنة والنار، وقال أيضًا: ((ولو شئت أن أتناول منها قِطْفًا لتناولته))، إلى غير ذلك، مما هو معلوم عند أهل السنة، ولذلك قال أهل السنة في أبواب الاعتقاد، والجنة والنار مخلوقتان موجدتان الآن، ولذلك في صحيح البخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن، ((قالت النار: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذِن لها بنفَسين، بنفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير))، كل ذلك في الصحيحين، وفي معتقد أهل السنة، بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لا كما يقول جماعة من أهل البدع، بأنهما سَتُخلقان يوم القيامة، ولذا عبّر الله –جل وعلا– بالفعل الماضي الدّال على الحصول والثبات، وأن الأمر واقعٌ، فأخبر عنه، فقال: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)، ولذلك مما يناسب في هذا، في رمضان، ما جاء في الحديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصحيحين : ((إذا دخل رمضان، فُتِحت أو فُتِّحت

أبواب الجنان، وغُلِّقت أبواب النيران، وصُفِّدت الشياطين))، إذن الجنة إيش؟ موجودة، تُفَتَّحُ أبوابها في وقت، وتغلق في وقت، والنار أيضًا فهذا كله مما خالف فيه أهل البدع أخبار ربهم –عزّ وجل– وما جاء عن نبيه من الأخبار المتواترة بأن الجنة والنار موجودتان الآن.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]، حرف الجر في "من مثله" وقد جاءت في الآيات الأُخر ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨] فما الفرق بين اللفظتين؟

هذا مما يصح فيه المعنى مؤكدًا وغير مؤكدٍ، بمعنى أنه جاء في مواضع أُخر فلم يذكر حرف الجر، وإنما ذكر ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨] ولم يذكر حرف الجر المذكور هنا مبالغةً وتأكيدا، والحاصل أن العرب كان من بلاغة الكلام أن يتنوع الكلام في إلقائه، وأن لا يُركّب الكلام على سجية واحدة، فإن العرب يستحسنون من الشاعر تغيير سياقات كلامه بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص، ولذا جاء القرآن على ما كانوا يفتخرون به من البلاغة في كلام الشعراء وفي النثر، إلى غير ذلك مما هو معلوم، لذا يأتي في موضع فيذكر الخبر أو الأمر دون أن يقرنه بتأكيدٍ، إذ أنه أكّده واستغنى بتأكيده وتثبيته في موضع آخر فيتنوع الكلام، ومن هنا تجد أن الله يذكر القصص، قصة نبي الله موسى مطولة مختصرة متوسطة، وقد ذكر جماعة وهو الباقلاني وغيره لما تعرّض لهذا في مسالة إعجاز القرآن قال: إن العرب كانوا يتفننون في أنواع كلامهم بين التطويل والاختصار والتوسط، قال: فأتى القرآن على جميع أساليبهم وسياقاتهم حتى يكون معجزًا بطريقة كل ما استوعبوه من طرق السياق والكلام، والحاصل أنه –سبحانه وتعالى– هنا أكّد الأمر فجيء "بمن" زيادة في التأكيد حيث ناسبها ما قبلها من المبالغة في الفعل الماضي "نزّلنا" فأكّد –سبحانه وتعالى– هنا

"بمن" وأتى في موضع آخر اكتفى بمجرد الخبر دون أن يؤكده، إذ استغنى بذكر ذلك الاستغناء من قبل، هذا ما يحضرني في مثل هذا.

يقول الله –جلّ وعلا–: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) [البقرة: ٢٥] أي كلما أُتوا بثمر من ثمار الجنة قالوا (هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) اختلف المفسرون ما المراد بقولهم: (رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) قال بعض المفسرين: هذا الذي رُزقنا من قبل أي في الدنيا، رُزقنا في الدنيا، ورُزقنا في الجنة.

وقال بعضهم وهو الأصح: (هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) ما بعدها مُبيّن لها، قال: (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) فهم يرونه مُتشابها فيتشابه في الشكل وليس هو في الطعم والحقيقة، فحين يرد عليهم هذا الطعام من الرزق فيظنونه أنه هو نفسه الذي جاء من قبل لكونه متشابها فيتشابه في شكله ويختلف في طعمه ومذاقه.

قال تعالى: (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) وقد جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قيل: يا رسول الله وصححه الإمام الألباني وغيره، قيل: يا رسول الله أنصل إلى النساء في الجنة، أي هل في الجنة جِماع؟ أنصل إلى نسائنا في الجنة؟

فقال –صلى الله عليه وسلم– نعم دحمًا دحما، فإذا قام عنها رجعت .

فليس هو في الطعم والحقيقة، فحين يردُ عليهم هذا الطعام من الرزق، فيظنونهُ أنهُ هو نفسهُ الذي جاء من قبل لكونهِ مُتشابها فيتشابه في شكله ويختلف في طعمهِ ومذاقهِ، قال تعالى: (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) [البقرة 25]، وقد جاء عن النبيّ–

صلى الله عليه وسلم–: قِيلَ يا رسُولِ اللَّهِ – وصححهُ الإمام الألباني وغيره–: قِيلَ يا رَسُولِ اللَّهِ أنَصِلُ إِلَى النساء فِي الجَنَّة ؟أي هل في الجنةِ جِماع؟ أنصلُ إلى نساءنا في الجنة؟ فقال– صلى اللهُ عليهِ وسلم– ((نَعَمْ، دحمًا دَحْمًا، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا)) قال ابنُ الأثير ((دحمًا دَحْمًا)) أي مُعاشرة فيها قوة وإنزعاج لشدة الشهوة، يقول((دحمًا دَحْمًا)) أي أنَّ الشهوة تبلغُ في الجنةِ مع الرجل أعلى مراتبها فيُجامِع مُشتهيًا ((دحمًا دَحْمًا)) بقوة لشدة الشهوة، فإذا قامَ عنها بعد أن ينتهي من شهوتهِ، عادت أو رجعت مطهرةً بِكرا، أي إنها كلما يقضي حاجتهُ منها واستمتاعه تعودُ بكرًا كما كانت، قال ((فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا)) طيب ، فهل يُنجِب في الجنة؟ سيما من أُبتليَّ في الدنيا بالعقم وقد صحَّ في ذلك ما صححهُ الألباني وغيره أنَّ النبي– – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ((إِذَا اشْتَهَى الرجُل الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كانَ حملُهُ ووضعهُ في ساعة واحدة)) إذًا في الجنة يُخرجُ الله لك الذُرية، لكن لا حيض ولا نفاس ولا قذر وإنما مُطهرة من كلِ شيء، مطهرة من الذنوب، مُطهرة من القذر.

قال تعالى: (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: 25] .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) [البقرة:26] لما ضرب الله الأمثال بالقرآن ضرب الله المثل بالكلب(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ) [الأعراف:175] أي الكافر، وضرب بالعنكبوت (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً) [العنكبوت 41]ضرب المثل بالحمار (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ) [سورة الجمعة 5] فسخرِ المشركون، قالوا ما باله يذكر هذه الأشياء،فبيَّن الله– جلَّ وعلا–: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً) أن يضرب المثل حتى يعقل

السامع مُراد الله –جلَّ وعلا– من خلال المثل، قال: (أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)، (فَوْقَهَا) قيل أي ما هو أكبرُ منها، وما فَوْقَهَا قيل ماهو أدنى وأقل منه، لماذا يضرب الله الأمثال ويذكر مثل هذه الدواب؟ قال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) [البقرة 26] أي أنَّ الله ما ضرب المثال إلا ليستبينَّ الحقَّ وليُفهم مُرادهُ– سبحانهُ وتعالى– وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فيسخرون فيقولون: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً) هذا معتقد أهل السنة مُعتقد أهلِ السُّنة، أن الله يضِلُ من يشاء ويهدي من يشاء، وأما جماعة من أهلِ البدع فهم الذين ينفون إضلالَ الله للعباد، فالقدرية يقولون: الله لا يضلُ أحداً، الله لا يضلُ أحداً، نقول: هذا تكذيبٌ لكلامِ الله –جل وعلا–، فإن الله يهدي من أنعمَ عليهِ بالهدى، ويضل من استحقَ الضلالة، ولذلك الكافر أتى بالكفرِ والعناد فاستحقَ الضلال، والله –جل وعلا– (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء:23]، ، والكافر ضَلَّ بفعلهِ واختياره، وزادهُ الله ضلالاً، (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [البقرة:15]، (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف:5]، (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) [البقرة:10]، قال الله –جل وعلا–: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة:26]، ، (يُضِلُّ بِهِ) أي: يُضِلُّ بالمثال، فيأتي الكافر فيسخر، مما ذكر الله من الأمثلة، فيصيرُ المثال سبباً لِضلاله، (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا)، وإنما يضل بحكمة ويهدي بحكمة، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء:23])وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة:26]، كأنهُ يُبين لِماذا أضلهم؟ لأنهم لا يستحقونَ الهُدى، أتوا بالفسقِ والعنادِ والضلال، فاستحقوا زِيادةَ الضلال، كما قال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف:5] ،وقال: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ

مَرَضًا) [البقرة:10] ، إذاً فهم أتوا بالكفرِ والضلال، فزادهم الله ضَلالاً على ضَلال، كما قال: (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [البقرة:15]، قال الله –جل وعلا–: (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ) [البقرة:27]، لا يوفون بالعُهود، وأصل النقض القَطع، يقال: نقضَ الحبل يعني قطعه، (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ) [البقرة:27-28]،كيفَ ارتضى الكافر أن يكفر بالله مع ظُهورِ الحجج البينة النيرة على أن كفرهُ خطأٌ وضلال، (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا) [البقرة:28] قبل أن يخلقكم الله، (هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) [الإنسان:1]، فكنتم أمواتاً عدماً،[وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ) [يس:33]، ؛ لأنها عدم قبل أَن يُخرِج الله فيها الثمر، (وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة:28-29]، هذه الآية يستدلُ بِها الفُقهاء على قاعدةِ أن الأصلَ في الأشياءِ الإباحة، فالأصل في المأكولات والمطعومات وما خَلق الله في الأرض، الأصل فيها الحل، فكل شيٍ رَأيتهُ من مطعومٍ أو مشروبٍ فإنه لكَ حَلال إلا ما ورد النصُ بِتحريمه، يعني إذا سافرت إلى بعض البلاد، ووجدتَ مَثلاً أنواعاً من الطيور أنواعاً من الدواب ليسَ من طَعامِ بلدك، تقول: أنا ما أدري هل هذا حلال أم حرام؟ الأصلُ في الأشياءِ الحِل، إلا ماورد الشَّرع بتَحريمِه واسْتدَّل أهل العلم على هذا بِقولِه – سبحانه وتعالى –: (هُو الذَّي خَلقَ لَكُم مافي الأَرْضِ جميعًا) [البقرة:29] فما في الأرضِ جميعًا الأصلُ فيهِ الحِّل ما لَم يَدلَّ دليلٌ على التَحريمِ (ثمَّ اسْتوى إلى السَّماء فَسَواهُنَّ سبعُ سَماواتْ وهُو بِكلِّ شَيءٍ عَليم) [البقرة:29] مامعْنى الاسْتِواء: الاسْتِواء معناهُ بِحسبِ ماتَعدَّى في اللَّفظ من حرف

فالاسْتواء أتى في كِتاب الله على وُجوه أتى مُعدًّا بِإلى كقَولِه (ثمَّ اسْتوى إلى) وأتى معدًّا بِعلى في سَبْعَةِ مواضِع ثمَّ استوى (الرحمنُ على العَّرشِ اسْتوى) في سبْعةِ مواضِع في كِتاب الله (الرَّحمنُ على العَّرشِ اسْتوى) [طه:5] فعدَّ الاستِواء بِعلى إذًا لفظُ الاسْتِواء عدِّي بإلى استوى إلى وعديَّ بِعلى في سَبعَةِ مواضِع وأطلِقَ من غيرِ تعْديه (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ) [القصص:14] لم يُعدَّى لابِإلى ولا بِعلى إذًا عِندَك الآن ثلاث إسْتِعمالات للفظِ الاسْتواء تعْديتُهُ بِإلى، وتعْديتُهُ بِعلى، وذِكرُهُ مطلَقًا غيرُ معدَّى تعدِيتُهُ بِإلى كما قال (ثم اسْتوى إلى) تعديَتُه بِعلى في سبع مواضِع (اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) [يونس:3] (الرَّحمنُ على العَّرشِ اسْتوى) [طه:5] ذِكرُه مطْلقًا من غَيرِ تعديه (ولما بَلَغ أشُدَّه واسْتوى) وهذا اللَّفظ يتَغيَّرُ معناهُ بِحسبِ سِياقِه وبِحسبِ ماتعدَّى بِه من الحَّرف فإذا عُديَّ بِإلى فالمراد بِاستوى القَّصد قَصدَ إلى هذا قَصدَ أن يَفعَلَ هذا قصَد فِعلَهُ وإذا عدِّي بِعلى فَهُو العُّلو والارْتِفاع ومِنهُ (واسْتوت على الجوديِّ) [هود:44] (كزرعٍ أخرجَ شطأهُ فَآزرهُ فاسْتَغلَظ فاستوى على سوقِه) [الفتح:29] علا وارتَفع استوتْ على الجودِّي فإذا اسْتويتُم عليهِ الدَّواب فالاستِواء إذا عدِي بِعلى أفادَ العُّلو وإذا عُدي بِإلى أفادَ القَّصد وإذا خلا من تعدية وأُطلق أفادَ الكَّمال وبُلوغ الشَّيءِ إلى أكمَلِ وجهِهِ وهذا قَولُهُ (ولما بَلَغَ أشُدَّهُ واسْتوى) أي كَمُلَ في قُتوَّتِه وبَلَغَ مبْلَغ الرِّجال فاحفظ هذا يَنفَعكَ الله بِه إذا عدِيَّ الاستواء بِإلى فَهُو القَّصدُ وإذا عدِيَّ بِعلى فَهو العُّلو وإذا أطلِق فهُو بُلوغ الشيء إلى كَمالِه هذا والله أعلم بِمراد كَلامِه جزاكم الله خير

السؤال :يقولُ السائِل هل بالإمكان قراءةُ نِصف سورة البقرة قبل غروب الشَّمس والنِّصف الآخر بَعد الغُّروب بمعنى هل تُؤدي الفَّرض ؟

الجواب :أي واضِح يعني يَقصِد السائِل يقصِد السائِل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال كما في صحيح مسلِم ((اقرؤوا سورةَ البَّقرة لاتَجعلوا بيوتَكُم مقابِر واقرؤا سورة البَّقرة فإن الشَّيطان يَنفِرُ من البَّيتِ الذَّي تَقرأ فيه سورة البقرة)) فكأنَّ السائِل يُريد أن يَقول هل لو أنا قَسمتُ سورة البَّقرة دونَ أن أقرأها دفعةً واحِدة هل أكون قد حقَّقت هذا الأمر الجَّواب نعم فإنك إذا قرأت أول النَّهار الجزء الأول منه وقرأت نصفَ النَّهار الجزء الثاني وأنهيتها في آخِر اليَّوم فإنكَّ يُقال قرأتَ سورةَ البَّقرة هذا شيء الشَّيء الآخر أن قولَهُ اقرؤوا سورة البَّقرة ليس معناهُ أن تسْتتِّم قِراءتها لأن قولهُ اقرؤوا سورة البقرة حتى أنك لو شَرعت فيما تيسَّر لك منها فيُقال أنك قرأت سورة البقرة أتممتَها أو لم تُتِمها ولاشكِّ أن اتمامها أفضل وأكمل أعظمُ أجرا هذا والله أعلم .